# المسيحية

## (رسالة جامعة إلى العالم)

لا يسع كل متتبع لهذه البحوث الموجزة التي أسلفنا عن أديان العالم الكبرى، إلا أن يتأثر في قرارة نفسه بما يلمس من شجن الإنسان في تلمسه الطريق نحو الله –وسواء أفكر الباحث في النفوس الكبيرة التي اضطرمت بضرام إلهي براق أم في الجماهير الغفيرة التي أشرأبت أعناقها إلى السموات وآمنت بإله من نوع ما، لا يسعه إلا الإحساس بأن طبيعة الإنسان تصبو إلى الله، ولن يهدأ لها بال حتى ترتوي هذه الطبيعة الصادية. "أنت قد جعلتنا لك، ولن تهدأ قلوبنا حتى تجد فيك مستقراً". وقد يكون حقاً أن جموعاً من الخلق لا تفكر في الله مطلقاً – ولو أن في الأمر شكاً، إذ ربما يكون الله موضع عبادة هذه الجموع تحت ستار مَثل أعلى أو نزعة غالبة، دون أن يخطر على أحد أن يدعو مَثله الأعلى أو نزعته الغالبة– الله. فضلاً عن ذلك فإنه من خطل الرأي أن نزعم أن كلّ من يدين بالهندوسية أو الإسلام أو البوذية طالب غيور يطلب الله ويسعى إليه، وكل مبتغاه أن يعلن له الوحي الصادق الذي لامين فيه. كما أنه من خطل الرأي أيضاً أن نزعم أن كل مَن يدعو نفسه مسيحياً يُحسب تابعاً متواضعاً صادقاً من أتباع

يسوع المسيح. وكان مجال البحث في هذا الكتاب محدوداً، فلم نستطع إلا إثبات خلاصات للأديان المختلفة، دون أن نسهب في وصف تفصيلي لمظاهرها العملية. فبين جماهير الكافة في كل نظام من هذه النظم الدينية، لا نرى إلاّ قليلاً مما نقدر على إخراجه من دائرة الوثنية الوضعية، والآداب الرخيصة، والتخوف من الأرواح الشريرة. على أننا في حكمنا على الأديان لا نراعي أسوأ ما فيها، بل أفضل ما بها. ولسنا ننكر أن فيها من دلائل المُثل العليا ما تستطيع النفس أن تنهض به للوصول إلى الله.

## فشل الأديان

وبعد هذا التصريح الصريح، لا مندوحة لنا عن التسليم بنواحي القصور فيها. فأي إله قدمت هذه الأديان للإنسان في آخر الأمر؟

لقد رأينا كيف تذبذبت الهندوسية بين فكرة عن عالم روحي تنقصه الشخصية، وفكرة عن إله ليس له إلا شخصية محدودة. وكيف جابه "غوتاما بوذا" أحزان الحياة وآلامها وحيداً مستوحشاً، وجاء إلى البشر بإنجيل قوامه قمع الرغبات –وهو عوض هزيل لا يغني عن الله بديلاً. ورأينا كيف عاشت بلاد الصين إحقاباً طوالاً في غمرة من الشك والغموض والإبهام حيال الله، وكيف بلغت اليابان فكرة عن المحبة الإلهية، لا بأس بها، ولكنها مؤسسة على أسطورة لا تقوى على البقاء أمام قوة العلم التي لا تلبث أن تكتسحها. إنها لصورة حافلة

بالأنوار المتكسرة، وليس فيها نور صاف يضع منه الإيمان الكامل. أجل إن الله لم يترك نفسه بلا شاهد، ولكنه لم يُعلن في هذه كلها كما هو في طبيعته الحقة.

من ثم لا نرى في هذه الأديان ديناً جامعاً شاملاً. وليس ثمة رسالة تستطيع أن تشق لها طريقاً بين الجنس البشري غير بشارة الله المفرحة:

## التعليم المسيحي عن اللّه

لنعد الآن إلى بحث مطالب الدين المسيحي بأنه دين جامع للجنس البشري قاطبة. ونرى قبل كل شيء أنه يحدثنا عن الله. وإذا رمنا أن نفهم طبيعة الله في المسيحية، فهناك نراه: الله الذي عاش معه يسوع في صلة وثيقة لا تنفصم عراها، صلة الابن بالآب. وكل ثروات الولاء والتعبد التي خلفها كتاب العهد القديم –كلها اختزنت في فكرة يسوع، عوناً لنا على فهم حقيقة الله. فهو الإله الذي تفوق قداسته كل تصورات الإنسان. عيناه أطهرا من أن ترى الشر، هو خالق البشر والمسيطر على العالم. هو "الآب"، ويحمل هذا اللقب كل معاني العطف والمودة والحنان.

ومن المألوف أن يوصف الله، حسب الفكر المسيحي، بأوصاف ثلاثة هي: المحبة والقداسة والقوة. ولما كان أنبياء إسرائيل من دعاة التوحيد، وقد بلغوا هذا اليقين، لا من طريق الفلسفة العقلية والمحاجة المنطقية، بل من طريف تفهمهم قصد الله وإدراكه في أظلم صور الحياة

وأحلكها، فإنه يتعين علينا ألا نستخدم هذه المصطلحات المليئة بالمعاني: وهي محبة الله وقداسته وقوته، استخداماً هيناً سطحياً، خشية أن تفوتنا الحقيقة الهائلة التي تنطوي عليها. أما هذه الحقيقة فقد عرفناها من تعدد المحاولات البشرية في تفهم أسرار الكون، والوصول إلى حقيقة يطمئن إليها القلب والعقل.

أما عن لفظ "المحبة" فقد قيل من أشباهها كلمات كثيرة في الأديان الأخرى. ولكن هذه الكلمة تشمل عدة من المعاني. وقد يراها بعضهم منطوية على أداء معروف، أو مظهر من مظاهر الأنس والرقة وحسن الأخلاق، ولكن المحبة في الفكر المسيحي هي التي تتألم إلى أقصى حدود الألم. أما كون الإنسان يصبو إلى المعرفة بأن الله يحبه، فهذا أمر لا جدال فيه. على أن الأدلة المستنبطة من دراسات علم الدين المقارن، تثبت لنا أن الإنسان قد تعذر عليه بلوغ هذه العقيدة. ولقد لمحنا منها ومضات عابرة مضطربة، في الأساطير والخرافات القديمة. وقد كان الحال هكذا عند الإغريق والرمان في القديم. فقد لمح البشر ومضات خاطفة عن الله المحب في أساطير الإله إيزيس أو الأُم العظمى. وذهب أفلاطون إلى القول إن المحبة الإلهية هي أساس الخليقة. أما أرسطو (ومثله سبينوزا) فقد ذهب إلى الله لم يحب العالم، ولو أن العالم والإنسان قد أحباه، ولزام عليهما أن يحباه. أما فكرة "الله محبة" فقد جاءت إلى العالم الوثني بيسوع المسيح. ثم أن "المحبة"

و"القداسة" في التعليم المسيحي، متحدتان اتحاداً تاماً. فالقداسة في الأصل قبل المسيحية، قد اختص بها الله تعالى، ولكن حملت معها فكرة الرهبة والسرية التي لا تُدرك، أكثر من فكرة الطهارة وصفاء الذات. على أننا نرى في العهد القديم عاموس النبي[٥]. يذيع رسالته الرهيبة، فيقول إن الله يعاقب ذنوب شعبه إسرائيل، لأنه قد عرف إسرائيل من بين جميع قبائل الأرض. هنا نرى القداسة والمحبة تتحدان معاً اتحاداً مكيناً.

وفي العقيدة المسيحية عن الله، لابد أن نجمع بين القوة والقداسة والمحبة معاً. وأنه لمن الخطر أن نفصل بين هذه الصفات الثلاث. ويتفاقم الخطر إذا حاولنا أن نفصل القوة عن القداسة والمحبة. وتذهب الفكرة المسيحية في نسبة القدرة إلى الله، إلى أنه تعالى الخالق المطلق الذي لا تحده إلا قداسة ذاته ومحبته.

ولن يبلغ الإنسان هذا الإيمان من طريق المطارحات النظرية، بل بإلهام من الله وإعلان منه. ونقصد بذلك أن البشر قد عرفوا الله لأنه أعلن ذاته لهم. هذه هي شهادة الكتاب المقدس المنسجمة. ولا ندحة لنا هنا عن القول إن هذا الإعلان قد يكون فارغاً أجوف، وتحضرنا الآن تلك الإعلانات الوثنية التي زعمت أن الله ظهر في أشكال بشرية

---

(٥) عاموس ٣: ٢.

أو حيوانية. أما في الكتاب المقدس، فإن الله يكلم الإنسان فيما له مساس بحياته الأدبية والأخلاقية. والنبي، إن كان نبياً صادقاً، يأخذ بأيدي البشر ليتقدم بهم إلى حق الله، معلناً لهم، ما يقوله الله في ذلك الظرف المعين. فشعب إسرائيل يُساق إلى النفي في بابل، مؤمناً أنه قد ترك الله وراءه في فلسطين، ولكنه يجده في المنفى هناك معه. ويُساق هوشع النبي إلى إدراك أعمق الأفكار عن محبة الله من طريق اختباره القاسي مع زوجته التي خانت عهده. وجملة الأمر كله، أن روايات الكتاب المقدس تعدنا لنرى أنه لم يكن هيناً على الفلاسفة أن يستوثقوا من ذاتية القداسة والمحبة في الله. ولا عجب أن يكون الأمر كذلك.

وقد يُقال هناك أفي وجهة النظر المسيحية شيء ما يعدو حدود العهد القديم، أي دين اليهود؟ وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد، وجواب جد خطير، ألا وهو أننا في الواقع نشر العهد القديم في ضوء الجديد. والفكرة المسيحية عن الله لا تنفصل عن الموقف المسيحي حيال يسوع المسيح. وإن قلنا إن الله بار وأب محب، يطلب الخاطئ وينقذه، فكيف نعرف هذا؟ إنه ليس عقيدة، وحتى العهد القديم لا يعتصم بها واثقاً. فما جوابنا إذاً؟

## الإعلان المعطى في يسوع المسيح

جوابنا الأول أن يسوع المسيح، الذي لا يجرؤ أحد اليوم على إنكار تاريخيته، قد آمن بهذا وعلم به وعاش بموجبه. ففي أمثاله البسيطة الرائعة –الخروف الضال والابن الضال وغيرهما كثير– نراه يضع في لغة عامة الشعب الحق المنطوي على أن الله أبٌ، طبيعته المحبة القدسية. على أن هذا ليس كل الإنجيل، فإن يسوع يعلن الآب، لا في كلمات ينطق بها فقط، بل في حياته وشخصه. وبينه وبين الله الآب وحدة وانسجام في الفكر والقلب والإرادة. وبينه وبين الآب علاقة سرية متينة الأواصر، لم يستطع تلاميذه أن يتقصوا مكنوناتها "أنا في الآب والآب فيَّ" – "من رآني فقد رأى الآب". فإن رمنا أن نعرف طبيعة الله، على قدر ما يستطيع الإنسان أن يعرف، فلا ندحة عن الرجوع إلى شخص يسوع.

فرسالة المسيحية عن الله ليست إذاً عقيدة في مصطلحات وضعية، بل هي شخص –هو يسوع المسيح. وهنا تبدو لنا أهمية الأساس التاريخي الذي يقوم عليه الدين المسيحي، من حيث أنه متأصل في يسوع. فهو ليس بدعة اختلقتها أوهام الناس وخيالاتهم، بل شخصاً ظهر على مسرح التاريخ. ولقد تعرضت البيانات التاريخية الموجزة عن حياته على الأرض إلى أشد صنوف النقد الصارم، بل لم تتعرض حياة أخرى إلى الفحص الدقيق وإلى مسبر الامتحان

والاختبار، قدر ما تعرضت حياته، ومع ذلك فقد خرجنا من هذا كله بيقين أشد وثقة أمتن بيسوع الناصري. وفي وسع المسيحيين أن يجابهوا العالم بإنجيل أساسه حقيقة شخصية لا يجد إليها الشك سبيلاً.

## المسيحية والخطية البشرية

والآن نعود إلى موضوع آخر: ماذا عسى أن تقول المسيحية عن الخطية؟ كان على المسيحية منذ نشأتها الأولى أن تكافح وتناضل مع وجهات نظر الآخرين في معنى الخلاص. وأنه لشيق حقاً أن نلحظ أنها قد عُنيت عناية جدية من البدء بهذا الفارق الصارخ الذي ميزها عن العقائد الأخرى. فالمذاهب الدينية الإغريقية الغامضة قد اتجهت عنايتها إلى تقييد النفس البشرية في عالم من المادة والألم أكثر من عنايتها بحقيقة الخطية بالذات. ولم تكن الخطية في نظر كتاب الأسفار المقدسة المسيحية حماقة أو دمامة، ولمن تكن داءً أو جهلاً، بل هي عصيان وإرادة شريرة جامحة، ليست موجهة إلى تقليد من التقاليد الاجتماعية المرعية، ولا إلى نظام أدبي عاطل عن العنصر الشخصي، بل إلى الله الحي ذاته. ولم تحتل التوبة مكانة رفيعة في الكتاب المقدس وحسب، بل قد حث الكتاب المقدس الإنسان على أن ينيب ويتوب، لا عن هذا العمل أو ذاك من الأعمال الخاطئة، بل من أجل نفسه. وعلمه أيضاً أن يحكم على نفسه ويدينها على أساس مقياس يسوع المسيح الأدبي.

وقل بين الناس من ينكر على المسيح سمو تعاليمه الأدبية والأخلاقية، مهما يكن موقفه حيال المسيح ذاته. وليس هيناً على الذين يقرأون كلماته الأخاذة الخارقة عن النقائص البشرية مثل الأفكار الشهوانية، والأعمال الجموحة، أو الطمع في المال، أن ينسوها أو يغضوا الطرف عنها. وهو يأمرنا أن نحب أعداءنا، وأن نلقي وراء ظهورنا كل أثر من آثار الآداب الضيقة، وأن نمارس بدلاً عنها المحبة الواسعة المجيدة، التي في نطاقها يهمي الآب السماوي غيثه على الأبرار والأشرار سواء. ونحن نعلم علم اليقين أنه حين نقترب إلى يسوع، لا نقدر أن نبلغ مستواه، وأننا واقعون تحت دينونته، لا بسبب الخطأ الذي نأتيه، ولكن بسبب الخير الذي نأباه. وحين نقع تحت مؤثرات طهر يسوع ومحبته، نتعلم شيئاً عن معنى الخطية.

وهل هذا كلُّ ما في الأمر؟ أليس لدى المسيحية مزيد مما تعطيه غير شريعة جديدة تفضل ناموس موسى، وهي بعد ليست إلا ناموساً؟ هنا يبدو إنجيل الخلاص في أنصع مظاهره وأبهاها. فالخطية، من وجهة النظر المسيحية عصيان ضد الله، وشرود عن الصلة به، ومعصية ضد قداسته تعالى. لكننا ندرك في سر الصليب أن الله لم يكتف بكراهة الخطية كراهية مقدسة، ودينونته إياها والحكم عليها. إنما يعلن لنا يسوع، وهو على الصليب، فكر الله في حمل الخطية على نفسه. ويبين لنا موت يسوع معنى خطية الإنسان في نظر الله، كما ذهب إليه قدماء

علماء اللاهوت في قولهم: "شناعة الخطية الشنيعة!" –بل يبين أيضاً أن الله قد تنازل ليجدد الصلة التي قطعت خطيتنا أواصرها، ويتخطى الشقة التي أحدثها بيننا وبينه اعوجاجنا وزيغنا.

ومن المبادئ الأولية التي يجب مراعاتها في وجهة النظر المسيحية عن الخطية والغفران، ليس ما يفعله الإنسان، بل ما يفعله الله. وترى ما الذي فعل الله؟ أليس يُسأل هنا في هذا المقام هذا السؤال الفاحص الخطير؟

لقد رأينا مدى العصور كيف عالج الناس الموضوع. فهم إما قنعوا واكتفوا بمستوى من الآداب الوضعية المألوفة، وأما أحنوا الرءوس أمام إله مطلق القوة، قد خسفت القوة فيه كل صلاح، بحيث لم يعد من الميسور إحكام صلة أدبية بين الإنسان وبين الله، وما أنهم تعلقوا بأهداب رجاء خافت وأسطورة كريمة عن إله يبدأ هو نفسه من جانبه بالعمل على إنقاذ الإنسان. على أنه إذا اقتصر هذا الرجاء على رغبة الإنسان ليس إلا، فإنا لا نتقدم قيد أنملة إلى ما نضبو من يقين.

وفي قلب المسيحية، وفي لبابها، عاش يسوع الناصري، ومات، وقام ليكون مع تلاميذه وأنصاره. وفي قلبها ولبابها أنها عاش في مكان عرفه التاريخ، وفي حقبة عينها الزمن، ونسج الناس حوله أفكاراً. لا من خيالات قلوبهم، ولا في قضاء السموات الخاوية، بل من قوة تأثيره فيهم وفضله عليهم. ولقد وجد الناس في يسوع المسيح حضور الله

ذاته، الذي تنزل ليفتديهم. وبان ذلك الدليل الناصع في شعور السيد بأن بينه وبين الله علاقة وثيقة. ويسوع هو الذي عرف أن ابن الإنسان سيبذل حياته فدية عن كثيرين. والذين كتبوا عن مجيء يسوع المسيح إلى العالم ليخلص الخطاة، ويموت عن الفجار ليصالح العالم مع الله، كانوا قوماً ممن رأوا مرأى العين، أو على الأقل عرفوا الذين رأوا السيد في حياته وفي موته الشنيع، فتكلموا بما عرفوا هم أنفسهم.

وقد وقعت الواقعة فعلاً، وتم العمل. ولم تعد الحادثة قصة يرويها الناس "عن" الله، لأنه قد أجرى فعلاً ما أراد في (كلمته) ابنه. ومن كان واحداً مع الآب، قد حمل عبء خطايا العالم، وقَبِل أن تنفذ فيه مشيئة الإنسانية. فإن كنا نؤمن في المسيح أن الله يحب أولاده الخطاة ويردهم –وهم عاجزون عن ذلك– إلى الصلة التي قطعوا وشائجها بأعمالهم، فإنه لا يسعنا أن نقبل هذا الإيمان أمراً هيناً، أو نتغاضى عن الكلفة الباهظة التي تقاضاها. ولدى مقارنة هذا بكل أنواع الترضية والاستغفار البشرية، وبكل أسباب الشدة والآلام التي يحفل بها العالم، فإنا نرى هنا غفراناً قد أشتري، لا بتضحية الإنسان وآلامه، بل بآلام الله ذاته.

* * *

هذه هي الرسالة التي تاق إليها البشر كما يتبين من الجهود والمحاولات المضنية في أديان العالم القديمة. فالذين تقربوا إلى الله،

أحسوا إحساساً قهرياً بعدم جدارتهم واستحقاقهم، وعرفوا أن بينهم وبينه شقة واسعة لا تتخطاها الذبائح، ولا صرامة الزهد والتقشف وما ينطويان عليه من إضناء وتذلل. ولن يؤمنوا إلا متى رأوا الله يتخذ الخطوة من جانبه أولاً ويبدو أمامهم متأهباً لقبول الإنسان في صلة القربى التي انقطعت أواصرها. والغفران، الذي هو إعادة ود مقطوع واستعادة صلة مبتورة، ليس معناه محو الخطايا كما تمحى الكتابة من على الصبورة، بل هو كلفة باهظة كما نتمثلها في الصليب وليس هذا مجرد الصفح والتجاوز عن الخطية، فالله ليس "متراخياً متهاوناً"، ولكنه غافر غفور. هذا هو الحق الذي يخضد قوة الخطية ويذل شوكتها.

وما الذي تقول المسيحية عن الحياة والموت؟ قلنا أن إنجيل المسيحية ليس مجرد شريعة جديدة تُطاع بالروح القانوني. كما أن الحياة المسيحية في جوهرها هي صلة بالله فيها تستقر روح الله (وهي روح يسوع) في روح الإنسان. وبذلك يتسنى للإنسان أن يختبر حياة الله، فيقوى على غلبة التجربة وعلى فعل مشيئته تعالى. وليس في هذا كله شيء من الشعوذة أو السحر، فالعملية خاضعة لنواميسها البسيطة

"صار الجامعة. ذلك أنه إذا أراد الإنسان باتضاع أن يسكن الله في قلبه، ورضى أن يقبله، معترفاً بخطاياه وطالباً في إخلاص ملكوت الله قبل كل شيء، فإن الروح الإلهي ينساب إلى داخله، ويبدل تدريجاً حياته ويجدد شخصيته.

وفي هذه الصلة بين الله والإنسان، في يسوع المسيح، يتوافر لنا الرجاء المسيحي في الخلود. ولم يقل العهد الجديد إلا قليلاً لإشباع رغبة حب الاستطلاع والوقوف على وصف تفصيلي مسهب للعالم الآخر، ولكن الكتاب المسيحيين أفصحوا بجلاء عن نقطة واحدة: وهي أنه متى أُحكمت هذه الصلة الجوهرية بين نفس الإنسان وبين الله في المسيح، فلن يكون للموت سلطان على تلك النفس. لأن هذه الحياة الجديدة أقوى من القبر. ويغدو الموت طوراً من أطوار الرحلة، لا يعقبه أدوار متوالية من الوجود المتتابع كما يذهب إليه الهنود في عقيدة تناسخ الأرواح، وإنما يعقبه وجود سعيد تظهر فيه بأجلى معانيها الحياة المستترة في المسيح. وحين يؤمن المسيحيون بقيامة المسيح من الأموات، لا يقتصرون في هذا على المسيح وحده، بل يؤمنون أيضاً أن المؤمنين به سيقومون مثله. كيف لا وقد باكورة الراقدين".

## المسيحية والتقدم

ومن النتائج التي تترتب على هذه العقيدة في الروح واهب الحياة، أن المسيحية هي بالضرورة، كما أسلفنا، دين التقدم والرقي. وربما يبدي المسيحيون في بعض الأحيان شيئاً من الضعف والهزال في هذا المضمار، ولكن الأمر الذي لا ينكر أنه حيث يسود الروح المسيحي الحق، يصبح الصوت الداوي حاثاً الناس على التقدم والارتقاء. ومن

الطبيعي أن ينظر القوم الذين يؤمنون في الله كروح، بينه وبين البشر صلة، إلى الحياة كأداة لمظهر الله وإعلانه، وأن يتعلموا المزيد من إرادته وطرقه، كلما تقدمت الأجيال وتعاقبت العصور.

## بساطة الرسالة المسيحية

وإن كانت هذه إذاً خلاصة الرسالة المسيحية، فإنا نلحظ فيها لأول وهلة بساطتها المتناهية. وحين نقول إن رسالة الإنجيل بسيطة، لا نقصد من وراء ذلك الحط من قدر الجهود العقلية. فإن هناك عالماً زاخراً يُكشف في هذه العبارات البسيطة، وحكمة الإنسانية لن تستوعب سراعاً معنى هذه الرسالة. ولكنها بسيطة بكل معنى الكلمة من حيث أنها تعني أصلاً بموقف النفس إزاء الله، وأنها تجول في نطاق الحقائق الجوهرية العظمى التي تربط الجنس البشري معاً، عالمهم وجاهلهم، كبيرهم وصغيرهم. وقد استنبط من المسيحية كمية هائلة من العقائد (ولا ضير في هذا)، ولكنها ما فتئت فصيحة البيان قوة النبرات، حين تواجه الحياة في أبسط أوضاعها وأصدقها، وحين يجابه الرجال والنساء مشاكل الزمن والأبدية.

## المسيحية دين جامع

ونرى ثانياً أن الإنجيل في جوهره رسالة جامعة شاملة، فليس فيها ما يقتصر فقط على أمة واحدة، أو جنس واحد، أو طبقة واحدة من الناس. ولم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية

الضيقة قد زالت، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية، وعرف أنها لليهودي والأممي، والبر بري واليوناني، والذكر والأنثى، على السواء، دون تفريق أو تمييز. فهل نحن في شك من هذا؟ إن إعلان الله في المسيح قد خلا من كل نعرة عنصرية أو نزعة ضيقة –هو يسع البشرية قاطبة. وإنجيل الخلاص من الخطية لجميع الناس، كلهم فيه سواسية، وهو لا يقوم على ذبائح وتقدمات معينة، ولا يتطلب ميزات عنصرية خاصة. وليس أساسه استحقاق الإنسان وجدارته، بل عطف الله ومحبته. حقاً أن رسالة الحياة في روح الله وقوته، التي بها يغلب الإنسان التجربة ويفعل مشيئة الله، جامعة شاملة في دعوتها وفي آثارها. فلا حدود فيها ولا قيود، ولا شرق ولا غرب. ولا قداسة متفوقة للمستجدين البر، ولا إنكار لحق البسطاء والجهلاء في رؤيا السماء –ولكنها حياة بشرية كاملة، لأنها إلهية كاملة، فيها يشترك كل الناس على قدم المساواة.

وأنه من الخطأ أن نزعم أن المسيحية واحدة بين نظم عديدة متنافسة. ونحن إذا قارناها بالأديان الأخرى، فذلك لكي نرى بأوضح بيان حاجات النفس كما تمثلت في سعي البشرية الدءوب نحو الله، ولكي نرى كيف يشبع دين يسوع تلك الحاجات اللجوجة، ويستجيب إلى تلك الصرخات الصامتة. وإن كان ثمة شيء أحق أو جميل أو جليل أو صيته حسن، في أي من أديان العالم الأخرى،

فالمسيحية لا تنكره ولا تبطله. وليس شيء من الحق في أي دين آخر من أديان العالم لا نجده في المسيحية، بل إن الأشياء التي رآها البشر في مختلف العصور بصور باهتة داكنة، والتي تاقت إليها الإنسانية مدى الأجيال، نراها متعلمة في المسيحية، ناصعة البيان قوية الوضوح. فإن الدين ليس كفاح الإنسان في طلب الله وحسب، وليس هذا كل ما في الدين، إنما هو أيضاً إعلان الله ذاته للإنسان. ولقد تاقت البشرية، كما رأينا في هذه البحوث، أن تؤمن بإله قدوس محب. وحين يجيء يسوع الناصري في وسطنا، حينذاك تُستجاب "صلاة الجنس البشري". وحين نفوز بالجواب، نُعطاه على نمط يفهمه الطفل في سذاجته، والشيخ في رصانته. ويفهمه الفقير والجاهل جميعاً.

## مطلب المسيحية

وإن صح هذا، وهو صحيح، وإن كان الإنجيل حقاً رسالة للبشرية قاطبة، كان على الذين يؤمنون به تبعة ثقيلة. فهو إما رسالة يبشر بها العالم كله وإلا فلا. وإن قلنا إن الإنجيل ليس للهندي أو الصيني أو الشرقي، فهو لن يكون للإنجليزي والأمريكي والغربي، وأحسب الضمير المسيحي يستيقظ تدريجاً إلى عرفان هذه الحقيقة، ونعني بها وحدة المهمة المسيحية في العالم أجمع. فإن الأسرة البشرية بأسرها مرتبطة بهذه الشركة الواحدة العظمى. وتزول الآن بفضل التجارة والتعليم والأسفار والمؤثرات الأخرى، تلك الحواجز المادية

التي قامت من قبل فواصل بين شعوب الأرض. فهل نتصور أن المسيحية التي تغلق أحشاء رحمتها وهي ترى العالم مغموراً في الضنك والضنى، تستطيع أن تبرئ أدواء المجتمع في البلدان التي تدعو نفسها مسيحية؟ وفي صدد دين المسيح نحسب كل بخل أو شح في الروح أمراً خطيراً جسيما. فالكل للمسيحية وإلا فلا. والسبيل الأمين الوحيد أمام الكنيسة المسيحية أن تنهض لتقوم بالمهمة التي تبدو أمامها مستحيلة. أما إذا اقتصرنا على الجهاد في زاوية واحدة، شلت قوتنا، وجمدت أعصابنا. فلنواجه المهمة كلها في ثقة هادئة مطمئنة معتمدين على الله، عندئذ تعمل قوة الله ومحبته في عنفوان قوتها، ونكون لها شهوداً، ونكون لها حماة إلى أقاصي الأرض.

* * *

ولعل مسك الختام لهذه البحوث أن ننشر هنا الرسالة التاريخية الرائعة التي أذاعها المؤتمر المسيحي الدولي الثالث من مدارس في بلاد الهند على كل شعوب الأرض.